مفهوم المصطلح وآليات توليده
في اللغة العربية

أ. زهيرة قروي
كلية الآداب واللغات
جامعة منتوري/قسنطينة

تقتضي منهجية البحث البدء بضبط المفاهيم باعتبارها ضرورة ملحة لتحديد عناصر الموضوع ومجاله، ذلك أن البحث في المصطلح يفرض علينا تطويق أهم التعريفات التي وضعت لهذا اللفظ لنتمكن من استجلاء حمولاته الفكرية وأبعاده الدلالية أي مرجعياته العلمية، وهي تمكننا ـ في الوقت نفسه ـ من تحديد الغاية التي يحاول البحث إيضاحها منهجا وأسلوبا ودورا وغاية كما تمكننا من خلق تواصل بينها وبين الموضوع الذي نعالجه .

1/ تحديدات أولية لمفهوم كلمة "مصطلح"

كلمة "مصطلح" في اللغة العربية مصدر ميمي للفعل (اصطلح) وقد يكون اسم مفعول لذات لفعل على تقدير متعلق محذوف أي (مصطلح عليه) وتتفق المعاجم العربية في تأصيلها للدلالة المعجمية لـ (المصطلح) أنه من الأصل الصحيح (ص.ل.ح)، حيث حددت المعاجم العربية دلالة هذا الأصل بأنه:

- الصلاحُ: ضدّ الفساد.تقول: صَلَح الشيءُ يَصْلُح صُلوحاً. قال الفراء: وحكى أصحابُنا صلُح أيضا بالضم... وقد اصْطَلَحَا وتصالَحا واصَّالحا أيضا مشدَّدة الصاد. والإصلاح: نقيض الإفساد[1].
- اصطلح القوم إذا وقع الصلح بينهم وأصلح ما بينهم:أزال ما بينهم من عداوة. والصِّلاح بكسر الصاد: مصدر المصالحة، والعرب تؤنثها، والاسم الصُّلح يذكر ويؤنث. وأصْلح ما بينهم وصالحهم مُصالحة وصِلاحاً[2] ، حيث أن هناك تقاربا دلاليا بين المعنيين، فإصلاح الفساد بين القوم لا يتم إلا باتفاقهم.

ولقد ورد الفعل (اصطلح) في عدد من أحاديث النبي الكريم من أمثلتها ما ذكره صاحب (الأسس اللغوية لعلم المصطلح) ممثلة في العبارات الآتية[3]: (اصطلح على أن لنوح ثلثها)، (اصطلح أهل هده البحيرة)، (اصطلحوا على وضع الحرب)، (اصطلحنا نحن وأهل مكة) (يصطلح الناس على رجل)؛ حيث توضح هده المواضع دلالة الفعل (اصطلح) بأنه مرادف للفعل (اتفق).

استنتاجا لما سبق يمكن القول إن المدلول المعجمي لمادة (ص.ل.ح) يحيل إلى المعنى الذي تعارف عليه الناس في الاستعمال اللغوي وهو التصالح والاتفاق، وهذه المعاني تقترب من المدلول لاستعمالي للفظة (مصطلح)؛ فمعنى (اصطلح) أي اتفق القوم على الأمر وتعارفوا عليه مما يعني حصول إجماع يفضي إلى تداول الاسم المبتكر وشيوعه، فكأن الناس اختلفوا عند ظهور مدلول جديد على تسميته، ثم تصالحوا وتسالموا على تسمية واحدة؛ فالاصطلاح بهذا المعنى يتطلب الاتفاق، لأن التسمية الجديدة لا يمكن أن تدخل حيز اللغة إلا إذا كانت محل اتفاق أصحاب هذه اللغة؛ وكلما ظهرت مسميات جديدة بادروا إلى الاصطلاح على أسماء لها.

وهكذا تبدو اللغة مجموعة من الاصطلاحات، لأن المسميات لا توجد في اللغة دفعة واحدة بل تظهر مع تطور حياة المتكلمين بها وحاجاتهم[4] ؛ فالمعنى الاصطلاحي للإعراب ـ مثلا ـ اتفق عليه النحويون وتعارفوا عليه، لذلك حين ننظر في التعريفات التي وضعها القدماء والمحدثون نجد أن مبدأ الاتفاق هو الأساس فيها.

1-1 المصطلح و مدلوله لاستعمالي عند اللغويين العرب

من خلال تتبع هذا اللفظ في ثنايا الدراسات العربية لمسنا عند اللغويين جهودا ملحوظة في مجال فهم المصطلح حيث عرّف "علي بن محمد الجرجاني" المصطلح فقال:

«الاصطلاح عبارة عن اتّفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول»[5]. وقال الزبيدي: «الاصطلاح اتفاق على أمر مخصوص»[6].

توضح التعريفات السابقة سمتين أساسيتين من سمات المصطلح هما:

- الاتفاق القائم بين المتخصصين .
- اللفظية و نقل المعنى، حيث يكتسب المصطلح مدلولا استعماليا جديدا نابعا من مبدأ انتمائه إلى حقل معرفي معين.

ثم إن دائرة المصطلح لا تغلق و الحاجة إليه دائمة، فكلما جد جديد في حياة الإنسان اصطلح على اسم له يقول مصطفى الشهابي : «المصطلح العلمي هو لفظ اتفق العلماء على اتخاذه للتعبير عن معنى من المعاني العلمية»[7]، فعملية الاصطلاح إذن لا تنتهي عند حد لأنها مرتبطة بنمو المعرفة الإنسانية؛ ولهذا حرص العلماء في القديم والحديث على تعريف المصطلح وتحديد مفهومه، وهذا الحرص نابع من أهميته ودوره في نقل العلوم والمعرفة من جهة، وفي ربط الصلات بين الشعوب والتواصل بينها من جهة أخرى؛ إذ يشكل القاموس المصطلحي قاعدة التأسيس التي تحصن دراية أهل الاختصاص وهي علامات واسمة لتصوراتهم العلمية يقول "عبد السلام المسدي": «إن السجل الاصطلاحي في كل فرع من العلوم هو الكشف المفهومي الذي يقيم للمعرفة النوعية سياجها»[8].

في إطار هذا التحديد الأولي اهتم المحدثون بتعريف المصطلح وما يعكسه من مرجعيات فكرية يقول "فاضل ثامر": «المصطلح هو تعميم أو تجريد ذهني لظاهر ة أو حالة أو إشكالية علمية أو ثقافية ولهذا فهو يقترن بنضج ظاهرتي التعريفات والتصنيفات العلمية في أية ثقافة إنسانية »[9].

ويقول "محمد حلمي هليل": «المصطلح الفني هو لفظ وافق عليه المختصون في حقل من حقول المعرفة والتخصص للدلالة على مفهوم علمي»[10]. أما "عبد الله بوخلخال" فإنه يعرفه بقوله: «المصطلح ـ أي مصطلح ـ هو عبارة عن وعاء يوضع فيه مضمون من المعاني، وهو أداة تحمل رسالة جد خطيرة، تسهم في تطور العلم والمعرفة النظرية منها والتطبيقية، على مبدأ الحضارات المختلفة، والأنساق الفكرية المتعددة والعقائد والمذهبيات المتميزة»[11]. ويعرفه "جرمانوس فرحات" فيقول: «والاصطلاح هو اتفاق القوم على وضع شيء كاتفاق أهل الصرف على وضع الحرف للصوت المعتمد على مقطع من مقاطع الحلق واللسان أو الشفتين ومن هذا القبيل أسماء جميع العلوم وما يضعه أهل كل علم من الأسماء»[12].

يفهم من منطوق هذه التعريفات أن المنظومة الاصطلاحية تقوم على أساس نقل الدلالة من الاستعمال الأصل إلى الدلالة المحدثة حيث تعبر المصطلحات فيها على دلالات جديدة تخرجها عن دلالاتها السابقة وتصبح دالة على أشياء لم تكن تدل عليها. إلا أن هناك علاقة من نوع ما بين الدلالة اللغوية والدلالة المصطلحية؛ ففي المصطلح العربي الصوتي ـ مثلا ـ نرى أن الهمس لغة هو الخفاء و اصطلاحا هو جريان النفس عند النطق بالحرف لقوة الاعتماد على المخرج. والشدة في المصطلح اللغوي العربي هي لغة القوة واصطلاحا انحباس مجرى الصوت عند النطق بالحرف لكمال الاعتماد على المخرج[13].

أما "محمد المدلاوي" فإنه يعرف المصطلح فيقول: «المصطلح لفظ يوضع للدلالة على مفهوم من المفاهيم التي أنتجها علم من العلوم خلال مرحلة معينة من مراحل تطوره»[14] ؛ حيث يوضح هذا التعريف ارتباط المصطلح باللغة المتخصصة وأنه ينتمي إلى مجال ينسب إليه؛ فالمنظومة الفكرية لعلم من العلوم إذا استقرت واستوت في فترة معينة لدى مدرسة من مدارس البحث العلمي، هي التي تتسبب في وجود المصطلحات ومعنى هذا أن العلم هو الذي يخلق المصطلحات أي الأدوات المفهومية التي تنبني بها عملياته الفكرية. يقول توبي لحسن:

«نقصد بالمصطلح كل مقولة مفتاح (catégoriel clef) وصفية كانت أم إجرائية، لها صلة بإطار نظري معين»[15].

اعتمادا على ما سبق يمكن القول إن التعريفات السابقة قامت على التأكيد على اعتبار المصطلح هو البنية الخارجية أو الفوقية التي تدل على الاتفاق الحاصل على ما يختبئ أو يختفي تحتها من مفهوم؛ فالمصطلحات بهذا المعنى هي «إذن علامات لمجردات تشير من خلال مدلولاتها الاصطلاحية إلى تصنيف الأشياء وتمكن الإنسان من أدوات تحليل واقعه والسيطرة عليه: هي إذن مقولات فكرية تتوسط الوحدة الشاملة والتنوع اللامتناهي وتشكل في دوال ضابطة لنظام المفاهيم،

باعتبارها حقولا تبوب داخلها المعرفة وتنتظم حسب ما يختص به كل ميدان مرجعي، باعتباره جزءا من عالم الأشياء»[16]. هذه الحقيقة الثابتة تبين كيفية السيطرة على ميادين المعرفة من خلال بناء رصيدها المصطلحي بوصفه «بنية كبرى تقطع الواقع (بجمل تصورات الإنسان الخاصة بميدان معرفي ما) إلى مقولات، هي مختلف المفاهيم التي تلخصها الأسماء الاصطلاحية»[17].

فالمصطلحات ـ بهذا المعنى ـ تتحدد دلالاتُها في إطار نظرية متكاملة ومن ثم ـ كما يقول محمود فهمي حجازي ـ «فإن المصطلح يخضع في تطوره للتخصص نفسه، و لا يتحدد إلا في داخل النظام الذي يكونه ذلك التخصص»[18].

ومما يلاحظ أننا في أثناء استقرائنا لتعريف "المصطلح" في ثنايا الدرس العربي التراثي لمسنا أنه يغلب على العلماء عدم التفريق بين كلمتي "مصطلح" و"اصطلاح"؛ فقد استُخدم المصطلحان وكأنهما مترادفان، فهذا الجاحظ (255 هـ) يقول في حديثه عن صياغة المصطلح في العربية: «وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم فصاروا في ذلك سلفا لكل خلف، وقدوة لكل تابع»[19]. فالعملية الاصطلاحية ـ في رأيه ـ هي عبارة عن إيجاد أسماء لمسميات جديدة أفرزتها الحاجة.

أما الخوارزمي (380 هـ) فإنه يستخدم لفظة (اصطلاح) إذ يقول في وصفه لكتابه "مفاتيح العلوم" فجعله «جامعا لمفاتيح العلوم وأوائل الصناعات، مضمنا ما بين كل طبقة من العلماء من المواضعات والاصطلاحات»[20] أما ابن فارس (395 هـ) فقد استخدم اللفظين بمعنى واحد إذ يقول: «حتى لا يكون شيء منه مصطلحا عليه» ويقول في موضع آخر: «ولو كانت اللغة مواضعة واصطلاحا لم يكن أولئك في الاحتجاج بأولى منا، في الاحتجاج، بنا لو اصطلحنا على لغة اليوم و لا فرق»[21]. ومثل هذا نجده عند التهانوي (1158 هـ) الذي سمى معجمه باسم

"كشاف اصطلاحات الفنون" ويقول في موضع آخر: «فاقتبست منها المصطلحات»[22] ، مما يدل دلالة واضحة أن التهانوي لم يفرق بين الاصطلاح والمصطلح واستخدمهما مترادفين.

أما في العصر الحديث فقد ظهرت ثلاثة اتجاهات حول استخدام لفظي (مصطلح) و(اصطلاح)[23]:

- الاتجاه الأول: و لم يأت على ذكر لفظ (مصطلح) واكتفى باستعمال لفظ (اصطلاح) للدلالة على معنى اللفظ الذي دخل في نطاق اللغة المتخصصة؛ يقول أحمد فارس الشدياق في كتابه "الجاسوس على القاموس": «إن الاصطلاح هو اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص»[24]. ومثل هذا جاء في المعجم الوسيط: «الاصطلاح مصدر اصطلح وهو اتفاق طائفة على شيء مخصوص ولكل علم اصطلاحاته»[25].
- الاتجاه الثاني: استخدم اللفظين باعتبارهما مترادفين، فلا فرق بين (المصطلح) و(الاصطلاح) فكلاهما استخدما من قبل المختصين للدلالة على المفاهيم العلمية المشكلة للمنظومة الاصطلاحية؛ قال سليمان ياقوت: «فالاصطلاح أو المصطلح كلمة تم نقلها من المعنى اللغوي الذي نجده في بطون المعجمات إلى معنى آخر جديد ...»[26]. ويقول محمود فهمي حجازي: «... تخصصت دلالة اصطلاح لتعني الكلمات المتفق على استخدامها بين أصحاب التخصص الواحد للتعبير عن المفاهيم العلمية لذلك التخصص. وبهذا المعنى استخدمت ـ أيضا ـ كلمة مصطلح وأصبح الفعل اصطلح يحمل ـ أيضا ـ هذه الدلالة الجديدة المحددة»[27].
- الاتجاه الثالث: وقد فرق بين اللفظين باعتبارهما شيئين مختلفين، فهذا عبد الصبور شاهين يقول: «فنحن نتذوق في استعمالنا لكلمة (اصطلاح) معناها المصدري، الذي يعني الاتفاق والمواضعة والتعارف ونقصد في

استعمالنا لكلمة (مصطلح) معناها الاسمي الذي يترجم كلمة (term) الانجليزية، ولذلك لا نجد بأسا في أن نقول: (إن اصطلاحنا على مصطلح ما ضرورة في البحث)، وهو أولى وأفضل من أن نقول: (إن اصطلاحنا على اصطلاح) بهذا التكرار الرقيق، ويبدو أن هذه التفرقة في الاستعمال لم تكن واضحة قديما»[28]. أما يحيى جبر فيذهب إلى ضرورة استخدام لفظ (اصطلاح) دون لفظ (مصطلح) ويرى أن كلمة (مصطلح) لم ترد في معاجمنا القديمة و لم يستخدمها أسلافنا يقول: «إنه لغريب حقا أن نجد معظم الباحثين يستخدمون كلمة (مصطلح) بدلا من (اصطلاح) مع العلم أن هذه الكلمة لا تصلح لغة إلا إذا اصطلحنا عليها، وذلك أن أسلافنا لم يستخدموها و لم ترد في المعجم لهذه الدلالة ولا لغيرها وإنما استخدم العرب بدلا منها اصطلاح»[29].

ومما تقدم يمكن أن نقول إن اللغويين العرب المعاصرين قد أطبقوا على استعمال كلمة (مصطلح) فذاعت في مصنفاتهم، حيث أن (المصطلح) مصدر ميمي نقل إلى الاسمية بتخصيصه بهذا المدلول الجديد.

1-2 واقع المصطلح و مفهومه في المؤلفات اللسانية الأوروبية الحديثة

أما تعريف كلمة (مصطلح : terme) عند الأوروبيين فهو لم يخرج عن تعريف اللغويين المحدثين العرب؛ فهو لفظ أو تعبير ذو معنى محدد في بعض الاستعمالات أو معنى خاص بعلم أو فن. يقول صاحب "قاموس اللسانيات": «إن كل تخصص بل كل علم بحاجة إلى مصطلحات يشير بها إلى تصورات محددة: وهذه المصطلحات هي التي تكون مصطلحيته»[30]. "أما جوزيت ري" (Josette Rey-Debove) فتعرف المصطلح من خلال موقعه في إطار المصطلحات الأخرى داخل التخصص فتقول: «المصطلح اسم قابل للتعريف في نظام متجانس، يكون

تسمية حصرية (تسمية لشيء) ويكون منظما (أي في نسق متكامل) ويطابق دون غموض تصورا أو مفهوما»[31].

إن الطبيعة التحليلية لهذه التعريفات تحدد المصطلح من حيث، أنه تعبير خاص وضيق في دلالته المتخصصة، وهو يرد دائما في سياق النظام الخاص بمصطلحات ميدان معرفي محدد. وكما يبدو فان هذه التعريفات الهيكلية للمصطلح تطرح مسألتين أساسيتين هما:

- الدلالة على موقع المصطلح في حقل موضوعي خاص.
- إبراز خصائص المصطلح من خلال تعريفه بدقة وشمول حيث يخضع شكل المصطلح للقاعدة المعروفة في المصطلحية: لكل مصطلح مفهوم ولكل مفهوم مصطلح.

وأود هنا أن أركز بشكل محوري على أن الاصطلاحيين في تعريفهم للمصطلح قد ربطوا بينه وبين المفهوم أو التصور فعرفوه بأنه الرمز اللغوي المحدد لمفهوم واحد؛ ولقد عرف فيلبر (felber) المفهوم بقوله: «إنه عبارة عن بناء عقلي ... فهو بإيجاز الصورة الذهنية لشيء معين موجود في العالم الخارجي أو الداخلي... ولكي نبلغ هذا البناء العقلي ـ المفهوم ـ في اتصالاتنا، يتم تعيين رمز له ليدل عليه»[32].

وينبغي هنا أن نتوقف عند أركان المصطلح و أبرزها:

- **المفهوم** : و هو الركن الأساسي من أركان المصطلح و هو نقطة البداية لأي عمل مصطلحي وعليه فالمصطلح في تواضعهم « وحدة دالة متركبة من تصور (notion) ورمز (symbole) والمتصور وحدة فكرية تتكون من مجموع السمات التي نضفيها على المسمى»[33].

يقول "م.ت. كابري" (M .T. Cabré) : «المصطلحات باعتبارها علامات هي وحدات تشير إلى وجهين مزدوجين: وجه التعبير أي

التسمية ووجه المحتوى أي المفهوم أو التصور الذي تحيل إليه هذه التسمية»[34]. أما المقصود بالتصور أو المفهوم فهو في حقيقته «تركيب ذهني مشتق من الموضوعات ولكي نبلغ هذا التركيب الذهني نسند رمزا إلى التصور الذي يمثله. هذا الرمز عادة هو المصطلح في التواصل في الحقول المعرفية»[35]. ففكرة التصور، بهذا المعنى، تقوم بدور حاسم في العمل المصطلحي وهو يشكل جزءا هاما في بنية المصطلح حيث عرف المصطلح في توصية ايزو (ISO/R1087) باعتباره رمزا اتفاقيا لتصور ما[36]. من هنا يرتبط التصور بوظيفة المصطلح وموقعه في النظام المصطلحي، فيرى "دوبكير" (L. Depecker) أن المصطلح هو، قبل كل شيء، عبارة عن وحدة معجمية أو علامة لسانية يعرف مدلوله داخل ميدان ثقافي أو تقني خاص وهو ما يعارض المدلول اللساني الذي يعرف على مستوى اللغة[37]. ذلك أن الفرق بين المدلول و المفهوم يشير إلى الفرق بين دلالة المعنى (connotation) والمعنى الحقيقي (dénotation) بين اللغة والمعرفة بين المعجمية والمصطلحية.

ويمكن أن نستفيد من طريقة "فوستر" (Eugen Wuster) في تقسيمه للمفهوم أو التصور على النحو الذي قدمه "محمد حلمي هليل" في ترجمته لـ"مقدمة في المصطلحية"[38]:

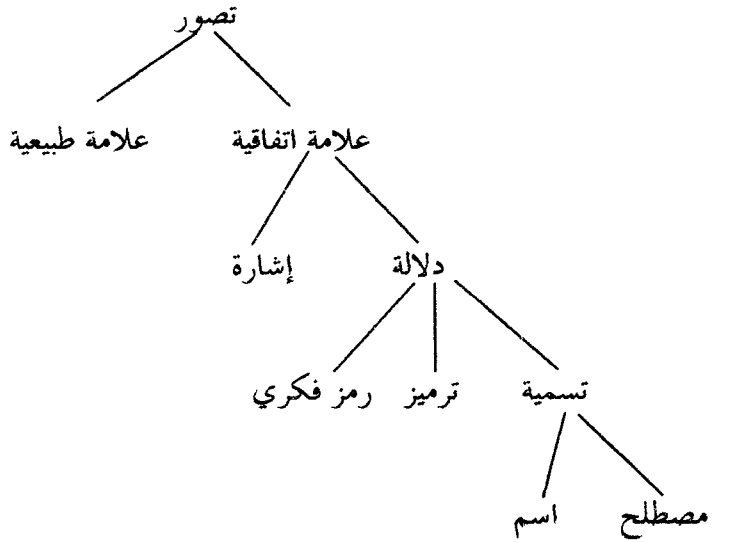

وكما هو ملاحظ فالتسمية يمكن أن تكون كلمة حين تشير إلى مفهوم عام كما يمكن أن تكون مصطلحا حين تشير إلى مفهوم خاص ذلك أن المصطلح ـ كما يقول "حمزة قبلان المزيني" ـ «لا يتميز عن كلمات اللغة الأخرى فهو كلمة يقصد بها أن تكون اسما لشيء ليس له اسم من قبل»[39] وهو ما سنأتي على توضيحه لاحقا.

- **الرمز اللغوي** : ويقصد به اللفظ الذي يتم اختياره لحمل دلالة المفهوم؛ فالمصطلح رمز لغوي محدد لمفهوم معين، أي أن معناه هو المفهوم الذي يدل عليه هذا المصطلح؛ وهنا لابد من الإشارة إلى أنه عند اختيار الرمز اللغوي (أي المصطلح) للإشارة إلى مفهوم محدد لابد أن يتحقق في هذا الرمز أمران[40] :

1. أن تتمتع دلالة المصطلح بالدقة.
2. أن يؤدي المصطلح المفهوم العلمي المقصود.

- **التعريف**: و هو أن يوضع لكل مصطلح وصفا كلاميا له يشتمل على الخصائص التي يتصف بها ا المفهوم ؛ و قد كثر في العصر الحديث

استخدام لفظة "التعريف" (définition) مقابل لفظة الحد التي استخدمها علماؤنا العرب قديما مع أنهما اسمان لمسمى واحد يقول السكاكي: «الحد عبارة عن تعريف الشيء بأجزائ، أو بلوازمه، أو بما يتركب منهما، تعريفا جامعا مانعا»[41].

أما التعريف عند هيلموت فيلبر فهو صيغة لفظية تصف مفهوما ما، بوساطة مفاهيم أخرى ذات علاقة مميزة عن غيره من المفاهيم التي تقع في مجاله وتحدد موقعه من المنظومة المفاهيمية[42].

من هنا يتضح أنه لابد عند التعامل مع المصطلحات من التفريق بين التعريف المصطلحي والتعريف اللغوي العام، حيث يحدد المصطلح انطلاقا من المفهوم وليس من المعنى العام، أي البدء بتعيين المفهوم لتسمية مصطلح ما.

آليات توليد المصطلح في اللغة العربية

إن الطريقة التي تتوالد بها المصطلحات لا تختلف كثيرا عن الطرائق المعروفة في اللغة العامة و التي تتوسلها في توالدها الذاتي ؛ فإذا حاولنا أن نتفحص الخطوط العريضة التي عولجت فيها قضايا إنتاج المصطلح في إطار البحث اللغوي، فإننا نلاحظ أن صياغته لا تختلف عن توليد الكلمات. يقول "عبد السلام المسدي" : «من أهم الآليات التي تفرزها اللغة لسد حاجات مستعمليها عندما يواجهون المفاهيم المستحدثة آلية التوليد التي يصنفها علماء اللسان إلى توليد لفظي و توليد معنوي. وفي كلتا الحالتين تنبثق دلالة تشق طريقها بين الحقول المترسخة في مصفوفة الخانات المخزونة لدى أهل تلك اللغة حتى تجد مستقرها بين زوايا المنظومة القاموسية»[43].

هذا و يحسن بنا ابتداء أن نشير بإيجاز إلى أن التوليد هو تولد ألفاظ اللغة بعضها عن بعض وهو ـ على حد قول محمد غاليم ـ «يتعلق بإعطاء قيمة دلالية

جديدة لبعض الوحدات المعجمية تسمح لها بالظهور في سياقات جديدة لم تتحقق فيها من قبل»[44].

أما مفهوم "المولد" عند القدماء من اللغويين، فقد اعتبروا كل لفظ جاء عن طريق اشتقاق أو تعريب أوتغيير في الدلالة واستعمله المولدون بعد عصر الاحتجاج من المولدات يقول "السيوطي": «المولد هو ما أحدثه المولدون الذين لا يحتج بألفاظهم»[45]؛ حيث تشير هذه التعريفات القديمة منها والحديثة إلى أن التوليد لا يقوم على الارتجال والخلق من العدم بل تتأسس الدلالة الاصطلاحية الخاصة على وسائل توليدية أساسية تتفرع لتكون مجرد وسائل لوضع المصطلحات العلمية والحضارية؛ ولقد قدم المحدثون الاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب باعتبارها بدائل في وضع المصطلح؛ إذ أن اللفظ المولد هو كل لفظ عربي أعطي مدلولا جديدا عن طريق الاشتقاق أو المجاز أو نقل الدلالة.

أما الاشتقاق والمقصود به توليد وحدة غير موجودة انطلاقا من وحدة موجودة، حيث جمع السيوطي في موسوعته اللغوية "المزهر في علوم اللغة" آراء طائفة من اللغويين العرب القدامى حول الاشتقاق وأورد تعريفات كثيرة منها أن «الاشتقاق أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب، ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة»[46].

ومن المحدثين من فهم آلية الاشتقاق "صبحي الصالح " الذي عرفه قائلا: «هو توليد لبعض الألفاظ من بعض، والرجوع بها إلى أصل واحد يحدد مادتها ويوحي بمعناها المشترك الأصيل مثلما يوحي بمعناها الخاص الجديد»[47].

يتضح مما تقدم أن الاشتقاق هو تولد اصطلاحي ضمن الحقل الدلالي الواحد وهو وسيلة من وسائل التوسيع الدلالي يسمح بتوليد ألفاظ جديدة تعود إلى أصول ثلاثية الصوامت. ولعل شيئا من هذا عبر عنه "عبد السلام المسدي" حين عرف الاشتقاق قائلا: «هو هذا التقولب الصرفي المظهري في نطاق المادة الواحدة»[48].

وهو «في منطلقه تولد اصطلاحي ضمن الحقل الدلالي الواحد ثم يصبح مقطعا عموديا يخرق طبقات المادة المعجمية فيشق مدلولاتها ويؤلف منها أسرا مفهومية قد لا تعرف حدا في نمائها»[49].

وهكذا تتكل اللغة العربية في تكاثرها الجنيني وتلقيح المفاهيم على الحركة الانفجارية القائمة على آلية الاشتقاق، ومعنى ذلك أن الاشتقاق يعتبر محركها التكاثري، حيث تتوافر القدرة التوليدية فيها عبر الطاقة الاشتقاقية عند كل اقتضاء اصطلاحي. ويقسم الصرفيون الاشتقاق إلى اشتقاق صغير تكون فيه جميع صيغه المشتقة متفقة في ترتيب الحروف الأصلية، وإلى اشتقاق كبير (ويسمى قلبا) يكون فيه بين الكلمة الأصلية والكلمة المشتقة تناسب في اللفظ والمعنى دون ترتيب في الحروف الأصلية، وإلى اشتقاق أكبر (ويسمى الإبدال) وهو ظاهرة صوتية تعاملية تتمثل في انتزاع لفظ من لفظ مع اتفاقهما في المعنى والمخرج؛ وما يمكن أن نخلص إليه من هذا الطرح هو أن الاشتقاق الصغير هو النمط التوليدي وهو الأكثر إنتاجية وفاعلية في النمو المصطلحي.

أما المجاز وهو من أخصب الآليات التوليدية رجوعا إلى فعاليته في التوسيع الدلالي وهو يقوم على تحوير معنى كلمة مأخوذة من متن اللغة العربية وإكسابها دلالة جديدة غير دلالتها الأصلية دون مساس ببنيتها الشكلية الدالة. يعرفه "السكاكي" فيقول: «هو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالا في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها»[50]. فالمجاز إذن هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له ونقله من معناه الأصلي إلى معنى اصطلاحي فيغدو بذلك جزءا من المنظومة الاصطلاحية. من هذا المنظور يرى "عبد السلام المسدي" أن موضوع المجاز قد ولج إلى صميم قضية وضع المصطلحات العلمية من حيث أن «مكمن المجاز استعداد اللغة لإنجاز تحولات دلالية بين أجزائها: يتحرك الدال فيتراح عن مدلوله ليلابس مدلولا قائما أو مستحدثا، وهكذا يصبح المجاز جسر العبور تمتطيه

الدوال بين الحقول المفهومية»[51] ؛ إذ يتم التحول الدلالي ـ حسب رأيه ـ وفق الأنماط الآتية[52] :

- يتعامل المجاز مع التواتر فينتج النقل.
- يقترن النقل مع اللفظ الفني فيوضع المصطلح، عندئذ يكون المجاز سبيل الرصيد اللغوي العام إلى الرصيد الخاص المعرفي الذي هو رصيد المصطلحات العلمية.

أما التعريب وهو «نقل الكلمة من اللغة الأعجمية إلى اللغة العربية»[53] ؛ ومما يلفت الانتباه أن علماء العرب القدامى أطلقوا مصطلح " المعرب " وهم يعنون به ذلك النمط التأليفي الذي دخل متننا المعجمي وتداوله الناطقون العرب بعد تعديل المخالف منه للعرف اللغوي العربي[54] ، حيث تمنى الكلمة المعربة بتغييرات صوتية حتى تنسجم و النسيج الصوتي العربي. والمقصود بالتعريب، عند اللغويين العرب القدماء، هو « ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها»[55]. على هذا الأساس فالتعريب هو ظاهرة اصطلاحية وهو اللفظ الأجنبي المنقول إلى العربية بلفظه ومعناه دون شكله المكتوب أي بما يتوافق والنسق الصرفي والصوتي للغة العربية، إذ ينبغي أن يتواءم اللفظ المعرب ونسق الصوغ الأدائي للغة؛ و لعل شيئا من هذا عبر عنه "عبد السلام المسدي" حين قال : «فأما التعريب فهو مصطلح نوعي يقترن بمعالجة اللسان العربي للألفاظ التي يستقبلها من الألسنة الأخرى مستوعبا إياها دالا ومدلولا»[56]، حيث دقق اللغويون في التسمية فأطلقوا عليه أحيانا مصطلح "الاقتراض" كما سماه "محمد الديداوي" في كتابه (الترجمة والتواصل) استعارة ويحشر وجه من الموضوع ضمن محور التداخل؛ إذ رأى اللسانيون أن تعريب المصطلحات هو وسيلة للتواصل بين اللغة المصدر (la langue source) واللغة الهدف (la langue cible)، وبالتالي فهو مظهر من مظاهر الاحتكاك بين اللغات مما قد يعرض هذه اللغات للوقوع في تداخل.

اعتمادا على ما سبق يرى "الفاسي الفهري" أن تعريب الثقافة العلمية يقتضي اللجوء إلى المصطلح الخارجي «وهو جهاز اصطلاحي يصاغ ويشيد إلى جانب المصطلح الداخلي بناء على مقولات فكرية داخلة، حتى نستطيع التعبير بألفاظ عربية عما يعبر عنه بألفاظ أجنبية»[57].

والذي نريد أن نشير إليه في هذا المجال أن الصناعة الاصطلاحية في العالم العربي متعددة اللغات والمعجم الاصطلاحي فيها موزع بين معجم داخلي، أساسه الثروة المفرداتية المجسدة في المصطلحات التراثية، ومعجم خارجي أساسه الثروة المفرداتية الخارجية وهو ينمو عن طريق التعريب والترجمة. حيث أن الترجمة هي عملية إبداعية تقوم على استبدال مصطلح متخصص من لغة مصدر إلى ما يقابله دلاليا في لغة الهدف قصد التمكين من التواصل المتخصص؛ وبالتالي فالترجمة ـ على حد تعبير عمار ساسي ـ هي نقل الغرض المعبر عنه بكلام (س) في لغة (أ) إلى كلام (ص) في لغة (ب)[58] وبعبارة أخرى فهي تحريك الغرض المعبر عنه من لغة إلى لغة أخرى وتغيير أحوال ما تنقله من كلام إلى كلام آخر أي نقل الكلام من لغة المصدر إلى لغة الهدف بحيث تنفث الأولى روحها في الثانية؛ فالمصطلح المولد بالترجمة يصدر إذن عن لغتين اثنتين، والمترجم ـ في هذا السياق ـ هو عامل ثنائي اللغة وهو يستبدل المصطلحات المبثوثة بلغة واحدة ويدخلها في المعجم الاصطلاحي بلغة أخرى حيث تعكس الترجمة منحيي التأثير و التأثر المتبادلين بين اللغات.

النتيجة التي نستخلصها مما تقدم أن هناك عدة وسائل توليدية توظف في الصياغة الاصطلاحية منها:

- التوليد الدلالي مع الإبقاء على نفس الدال ومن وسائله المجاز .
- التوليد الدلالي مع فرز دال جديد وهو توليد قد يخص المبنى فقط كالمعرب والترجمة، وقد يخص المعنى والمبنى معا في الوقت نفسه كالاشتقاق.

إن ما يمكن قوله في هذا المجال أن وسائل التوليد تتفرع لتكون مجرد وسائل لوضع المصطلحات العلمية والحضارية غير أن توليد المصطلح ووضعه يرتبط بنجاحه في "امتحان القبول" المتوقف على انتشاره في استعمالات المتكلمين لتصبح معالجة التوليد رصدا للإمكانات الإبداعية لدى المتكلم. وعلى هذا فإن جدلية المصطلح انبنت على خصوصية الاستخدام اللغوي؛ وهذا ـ لاشك ـ دليل على التفاعل المستمر بين "اللسان" (la langue) وبين الكلام (la parole)؛ ومعنى ذلك أن ما يقرر حياة المصطلح هو الاستعمال وليس الوضع لأن المصطلح الذي يلقى القبول والاستعمال هو الذي يحظى بالبقاء والاستمرار؛ ويجري هذا الأمر طبقا لقانون الاستعمال والإهمال ومن المفيد هنا أن نذكر الشعار المشهور الذي رفعه "وتكنشتاين" (Wittgenstein) «لا تبحث عن الكلمة بل ابحث عن استعمالها»[59].

نستطيع القول في خاتمة هذا المبحث أن تعريب الثقافة العلمية يرتبط بتعريب المثقف من أهل الاختصاص. ورواج المصطلح إنما هو عالق بالقدرة التعبيرية لمتكلمي اللغة ومستعمليها، باعتبار أن اللغات هي مراكب للحضارات. من هذا المنطلق من واجبنا أن نهتم بالدرجة الأولى بالتوصل إلى بلورة جهاز مصطلحي يمكّن العربية من الوقوف على التحولات السريعة التي طالت ميادين الفكر والمعرفة، لاسيما في عصرنا هذا الذي كثرت فيه المفاهيم والمسميات المستحدثة نتيجة تطور العلوم، الذي أثّر بالضرورة في التطور اللغوي الاصطلاحي كما وكيفا.

الهوامش:

1- الجوهري : الصحاح في اللغة 29/2 متاح على الشبكة:
http://saaid.net/book/

2- لسان العرب باب الصاد مادة صلح ص 66 و 67 متاح على الشبكة:
http://www.almeshkat.net/books.open.php

3- محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، ص 7 و 8 .

4- أيمن الشوا: من قضايا المصطلح عند الأمير مصطفى الشهابي، مجلة التراث العربي (دمشق)، العدد 99ـ100، 2005. متاح على الشبكة:
http : //www.Awu-dam.org/thurath 99-100

5 - الجرجاني: كتاب التعريفات،مكتبة لبنان/بيروت/:1978.

6 - الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (ص.ل.ح)الجزء 6 ،ص 1670 متاح على الشبكة http://www.Almeshkat.net/books/open.

7- مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، مطبوعات المجمع العلمي العربي/دمشق/، دط ،1988، ص 6.

8- المصطلح النقدي وآليات صياغته، علامات، المجلد (02)، الجزء (08)، 1993، ص 56.

9- فاضل ثامر: اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، المركز الثقافي العربي (بيروت)، ط1، 1994، ص 170.

10- محمد حلمي هليل: المصطلح الصوتي بين التعريب والترجمة (دراسة تمهيدية نحو وضع معجم صوتي ثنائي اللغة)، مجلة اللسان العربي/الرباط/، العدد21، 1983، ص 122.

11- عبد الله بوخلخال: مصطلح السيميائية في البحث اللساني العربي الحديث: النشأة والمفهوم والتعريب، ضمن أعمال السيميائية والنص الأدبي، أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها/جامعة عنابة باجي مختار/، مايو 1995، ص74.

12- جرمانوس فرحات: بحث المطالب في علم العربية، مكتبة لبنان ناشرون/بيروت/، ط2، 1995، ص7 .

13- المصطلح الصوتي بين التعريب والترجمة، مجلة اللسان الغربي/الرباط/، العدد21، 1983، ص 112.

14- محمد المدلاوي: المصطلح الصوتي عند ابن جني ما بين الانطباعية والصرامة الصورية، منشورات كلية الآداب/وجدة/، ط1، 1998، ص 143.

15- توبي لحسن: التعريف المصطلحاتي في بعض المعاجم:
http://www.arabization.org/ma/ down loads/majalla/48/

16- عبد السلام المسدي وآخرون: تأسيس القضية الاصطلاحية، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة/تونس/، 1989، ص 75.

17- المرجع نفسه، ص 76 .

18- الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص 11 و 12 .

19- الجاحظ: البيان والتبيين، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي/القاهرة/، دت، ج1، ص 139.

20- الخوارزمي: مفاتيح العلوم، تح فلوتن، 1985، ص 2و3

21- ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تح السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي/القاهرة/، ص 7.

22- التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، تح لطفي عبد البديع، المؤسسة المصرية، 1963، ص 1– 3.

23- انظر إبراهيم كايد محمود: المصطلح ومشكلات تحقيقه، مجلة التراث العربي، (مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب)/دمشق/، العدد 97، آذار 2005 متاح على الشبكة: http ://www.Awu.dam.org/ thurath 97.

24- أحمد فارس الشدياق: الجاسوس على القاموس، مطبعة الجوائب/القسطنطينية، 1299 هـ، ص 437.

25- إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، مادة (ص ل ح)، الجزء 2، 442 متاح على الشبكة: http://saaid.net/book/

26- محمد سليمان ياقوت : مصادر التراث النحوي، دار المعرفة الجامعية /طنطا – مصر/، 2003، ص 14.

27- الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص 8.

28- عبد الصبور شاهين : اللغة العربية لغة العلوم و التقنية، دار الإصلاح/الدمام/، ط1، 1983، ص 119.

29- يحي جبر عبد الرؤوف : المصطلح مصادره و مشاكله و طرق توليده، مجلة اللسان العربي/الرباط /، العدد 36، 1992، ص143.

30- Jean Dubois et autres : Dictionnaire de linguistique, Larousse, 1991, p 486.

النص باللغة الفرنسية:

Toute discipline et à plus forte raison toute science, a besoin d'un ensemble de termes, défini rigoureusement, par lesquels elle désigne les notions qui lui sont utiles : cet ensemble de termes constitue sa terminologie.

31- Josette Rey – Debove:Lexique sémiotique, puf , Paris, 1979, p 50.

النص باللغة الفرنسية:

Terme : nom définissable d'un système cohérent, énumératif (nomenclature) ou structuré, et correspondant sans ambiguïté à une notion ou concept.

32- Helmut Felber:Standardization of terminology, Vienna, 1985, p17.

نقلا عن: علي توفيق الحمد: في المصطلح العربي (قراءة في شروطه وتوحيده) متاح على شبكة الانترنيت: http://www.Almughtarib. com/

33- توفيق الزيدي : تأسيس الاصطلاحية النقدية العربية، علامات (كتاب يصدر عن النادي الأدبي الثقافي بجدة)/المملكة العربية السعودية/، المجلد 02، الجزء 08، 1993، ص 183.

34- Gérard Petit : Sémiotique du terme et traduction, traduire la langue traduire la culture, Institut Français de coopération, Maison neuve et Larousse , Paris, 2003 , p 253 .

35- محمد حلمي هليل: أسس المصطلحية، علامات/المملكة العربية السعودية/، المجلد 02، الجزء 08، 1993، ص 291.

36- هريبرت بيشت وجنيفر دراسكاو : مقدمة في المصطلحية، تر محمد حلمي هليل، كلية الآداب قسم اللغة الانجليزية/الكويت /، دط، 2000، ص 139 .

37- Gérard Petit : Sémiotique du terme et traduction, p 230.

38- المرجع نفسه، ص 137 .

39- حمزة قبلان المزيني : المشكل غير المشكل: قضية المصطلح العلمي، علامات/المملكة العربية السعودية/، المجلد 02، الجزء 08، 1993، ص 12.

40- محمد طاهر الحيادرة : مصطلحاتنا اللغوية بين التعريب والتغريب متاح على الشبكة: http : //www.Majma.Org.Jo/

41- أبو يعقوب السكاكي : مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية/بيروت/، ط1، 1983، ص 436.

42- جواد سما عنة: المعجم العلمي المختص (المنهج و المصطلح)، مجلة مجمع دمشق، 2000، ص 979.

43- المصطلح النقدي ص 113.

44- محمد غاليم : التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم، دار توبقال للنشر/الدار البيضاء ـ المغرب/، ط1، 1987، ص 35.

45- عبد الرحمن جلال الدين السيوطي : المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار إحياء الكتاب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه/القاهرة/، ج 1، ص 304.

46- المزهر 346/1.

47- صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين/بيروت/، ط 9، ص 174.

48- قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح، ص 32.

49- المرجع نفسه، ص 32.

50- مفتاح العلوم، ص 152 و 153.

51- قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح، ص 44.

52- المرجع نفسه، ص 44 و45.

53- محمد كراكبي : استثمار اللسانيات في دراسة إشكالية الترجمة، المترجم 2001/2، ص 189.

54- مشتاق عباس معن : المعجم المفصل في مصطلحات فقه اللغة، دار الكتب العلمية/بيروت/،ط1، 2002، ص119 .

55- المزهر، 268/1.

56- عبد السلام المسدي: النواميس اللغوية والظاهرة الاصطلاحية، مجلة الفكر العربي المعاصر/بيروت/، العدد 30ـ31، 1984، ص 17. و ينظر أيضا قاموس اللسانيات، ص 28.

57- اللسانيات و اللغة العربية ص 398.

58- عمار ساسي : المصطلح في اللسان العربي بين آليات صناعته وأدوات ترجمته، المترجم، 2001/2، ص74.

59- جون ليتز : مقدمة في علم اللغة النظري، تر مجيد عبد الحليم الماشطة وآخرين، كلية الآداب/جامعة البصرة/، د. ط، 1980، ص 23.